

## الاستجابة الحضرية للتحويلات العمرانية في المدن التقليدية

● د. سعد خضير الجميلي<sup>1</sup> - استاذ مساعد

● رفل علاء الدين عبد المجيد<sup>2</sup> - ماجستير

<sup>1</sup> قسم الهندسة المعمارية - كلية الهندسة - جامعة النهرين

الاستلام في: 2018/08/15 / قبول النشر في: 2018/10/01 / النشر في: 2019/05/01

DOI Link: <https://doi.org/10.17656/sjes.10105>

### المستخلص



وبالتالي فهي وان كانت نمطية لكنها ليست عبثية ، وهي وان لم يمتلكها مستوى عالي من الخيال لكنها أكدت على الجانب الإيجابي الذي يحتاجه الفرد والمجتمع وحقت وظائفه العملية المتفاعة ، ولأنها كذلك ، اي كونها حاملة للأفكار ومجسده لتطلعات الإنسان ، فهي تمتلك في ذاتها ما يستحق إعادة النظر بتكويناتها التقليدية ، وتحويل النظرة السلبية الساكنة حيالها إلى نشاط إيجابي ، حتى تصح العمارة الفطرية البسيطة في مظهرها نواة للتحويلات الإيجابية في النظم الحضرية ، فهي هي حاملة لأدوات التفاعل مع البيئة المحيطة .

وان كل التحويلات الحاصلة في المدن ، التقليدية منها وغير التقليدية ، انما هي تحولات تغطي الهيكل الحضري والبنية التحتية على حد سواء فلا يمكن ان ينمو الهيكل الحضري ويتغير ويتطور ويتشذب دون البنية التحتية ، لان كل منهما يكمل الاخر ويمثلان معا بنية واحدة متكاملة .

وتمثل هدف البحث : بالكشف عن ملائمة التأثيرات العمرانية للمدن التقليدية ومحاولة الاستفادة منها في النهوض بالواقع المعماري الجديد .

وقد تم في البحث بناء اطار نظري يتقصى مدى استجابة واستيعاب النظام الحضري للتحويلات المعمارية التي تحدث في المدينة بفعل التغيرات وتحليلها ، فيتناول المبحث الأول مظاهر المدينة التقليدية ونقاط القوة التي تعطيها ملامحها المميزة ، أما المبحث الثاني يتطرق الى مستوى التحويلات التي تحدث على مستويات المدينة ومدى استجابة المدينة إلى هذه التغيرات ،

وتوصل البحث إلى اليه للتحليل والقياس التي شملت التحليل على مستوى المبنى الواحد وعلى المستوى الحضري ، لتحقيق العملية الابداعية وفق الاستجابة الزمانية - المكانية للتحويلات المعمارية في المدينة التقليدية .

وكانت نتائج البحث هي ان التمسك الصارم بالتقاليد ومحاولة عزل المدينة التقليدية عن الزخم الكبير الذي خلقة التجدد التكنولوجي والتنامي مع حدوث التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا يمثل الحل الأمثل للإبقاء على ما هو متوارث ، بل ان مواجهة المدينة لكل ما هو جديد يجب ان تتم عبر المرونة والفهم التام للمدينة بوصفها سجلا يحفظ مسيرة الإنسان وإنجازاته .

المدن كتحصيل لم تظهر للوجود مباشرة بل هي نتاج النمو والتغيير والاستجابة الدائمة لمتطلبات الإنسان عبر عقود أو حتى قرون من الزمن ، فكل جيل يقتنص ما أنتجه الآخرون ويعيد التنظيم ويستبدل تبعاً لحاجاته ، وبذلك تعد المدينة بنية نامية تستجيب لمتطلبات الإنسان أو المجاميع الإنسانية فيقام من خلالها نظام يتضمن علاقات ومفاصل جوهرية ، حتى باتت أي مدينة في العالم قائمة على (هيكل حضري urban structure وبنية تحتية Infra-structure) ، يتناول البحث التحويلات التي طرأت على المدينة التقليدية نتيجة التحديات التكنولوجية والسياسية والاقتصادية وغيرها . حاولت هذه التحديات ان تجرد المدينة من خصائصها العمرانية ، في حين كانت بعض هذه التحديات هي حوافز لتطوير المدينة وتجاوبها مع التطور والتقدم التكنولوجي ، وعليه تتجسد إشكالية البحث في : ( ان التحويلات المعمارية الناتجة عن النهوض والتطور المتسارع للمدن التقليدية ، أدت الى غياب التشكيلات العمرانية والحضرية والبيئية التي كانت حاضرة في المدن التقليدية) .

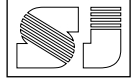
ويهدف البحث الى الكشف عن ملائمة التشكيلات العمرانية المتحولة للمدن التقليدية ومحاولة الاستفادة منها في النهوض بالواقع العمراني الجديد .

وتوصل البحث إلى ان عملية التعاطي مع الجديد واستيعاب مفهوم الاستمرارية عملية جوهرية ، لان التثبيت غير المدعوم بمرونة التواصل مع الماضي سيؤدي إلى تفرغ البنية التقليدية للمدن من خصائصها ، فتتحول البيئة التقليدية المسكونة بالتقاليد العمرانية إلى بيئة مفرغة من شكلها الجمالي والوظيفي الخاص .

**الكلمات المفتاحية :** الاستجابة الحضرية ، التحويلات المعمارية ، البنى التحتية .

### المقدمة

ان تمثل العمارة التقليدية بالعمارة الفطرية ، لم يأتي فقط كونها تمتلك التكوينات والبنى التي لا تخضع للتعريفات الهندسية المثالية والدقيقة ، لكنها تأكيد واضح للأفكار التي جاءت من أجلها والتي تتمثل بالجانب الوظيفي .



## 1. خصائص المدينة التقليدية

والاقتصادية والعلمية والاجتماعية ، وفي ظل ذلك ظهرت إلى نطاق المشهد اليومي عادات وقيم غير مسبوقه نمت وتطورت واثرت تأثيرا سلبيا في عملية الاندماج بين الانسان ومدينته ، وهذا رفع من الاحساس بغربة الانتماء للمجال الحضري.(غليون، 1986، ص 76) وعلى غرار طرح مشاكل المدينة هناك مشاكل موجهة على المدينة في العالم العربي اهمها ما يسمى بالحصار المدني الجديد هو نوع من انواع تضيق المساحة الفيزيائية (الفيزيائية: وهي علم الطبيعة) والنفسية في داخل المدينة، وهو ما يكون مدينة منطوية ومتفوقمة ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وهذا يزيد من مشاكل المدن (النعم، 2004، ص 2).

نستخلص من كل ما سبق ان المدن هي البنى الأكثر مسكا للموروث الشعبي وبيئته الخاصة كون التشييد المعماري هو الأكثر قابلية على الثبات والنقل والتوارث، بالمقارنة بالفعل الإنساني والأحداث العابرة والرؤى المكتوبة لأنها لا تدوم كثيرا، في حين ان المدن هي التي تمثل التجسيد الحي والعياني للأفكار والأفعال والتطلعات وهي التي تبقى وتنعم بالديمومة والاستمرار، مع ان هذا الثبات محكوم أيضا بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية والتطور العلمي والتقني المتسارع الذي يزيد من صعوبة المطاولة، فالصد الدائم عن كل جديد، ومحاولة الابتعاد عنه والتصدي له سيعمل على خلق فجوة واضحة بين الجديد والقديم وكما سيعجل من عملية تداعي بنية المدينة .

## 2. استجابة المدن التقليدية للتحويلات العمرانية

### 1.1. مفهوم التحول

هو الانتقال من وضع إلى وضع آخر، والمتحول وهو ضد الثابت، غرض التحول هو الوصول إلى هيئات جديدة لإيفاء متطلبات فكرية أو مادية لتلائم الحالة الجديدة. والتحول لا يتم باستبعاد الشكل الاصلي نهائيا وانما تحويره وتطويره تدريجيا ولا يحدث بصورة شاملة. (الرازي، 1982، ص 163)

• ويأتي التحول لغويا بأنه "حول تحول : عن الشيء وزال عنه الى غيره، يحول مثل تحول من موضع الى موضع ومن حال الى مكان آخر، أي تحول، وحال الشيء نفسه، يحول حولاً بعينين يكون تغييراً ويكون تحولا. (ابن منظور، 1978، ص 432)

وتعريف Antoniades للتحول : هو عملية تغيير الشكل المعماري ليصل إلى المرحلة المتقدمة بالاستجابة إلى مجموعة من الديناميكيات الداخلية والخارجية. (Antoniades، 1990، ص 65)

اما التحولات عند Thompson : هي العمليات التي من خلالها يتم تبديل الشفرة الأصلية بشكل يحافظ على عائدتها للمرجع الأصلي بينما يتم العمل على توليد معنى جديد أو خاصية جديدة لها (مصدر سابق، ص 70).

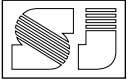
العمارة التقليدية هي وليدة الإحساس الفطري للمجتمع الذي يسكن تلك المنطقة والذي يعيش بأحاسيسه وكيونته، مستغلا ما منحه الطبيعة من إمكانيات، وهو حريص على استخدام هذه الإمكانيات لتحقيق حاجاته بما يلائم مع البيئة. ان استغلال ما تقدمه الطبيعة من إمكانيات ومواد بناء هو موضوع اقتصادي حدث بالفطرة، ولقد أحسنت المدينة التقليدية التعامل مع الموقع وطبوغرافية الأرض بشكل انعكس على طريقة تجميع المساكن، والتلائم مع المناخ على اكثر من مستوى، سواء على مستوى البيت الواحد واستخدام عناصر بناءية مناخية مثل البادكيرات والفناء الوسطي والسرداب من خلال المعالجات المعمارية في الواجهات مثل طريقة عمل فتحات الشباليك والارتفاعات ومواد البناء أو على المستوى التخطيطي بطريقة تجميع المباني وتكوين الازقة الضيقة والمتعرجة، أعطت هذه الميزات ملامح مميزة للمدينة التقليدية (المدحجي، 2005، ص 173).

بالإضافة إلى سمات المدينة التقليدية وطريقة تعاملها مع الطبيعة هناك تكوينات مادية اعطيت للمدينة التقليدية تفاصيلها المعمارية الواضحة (الخناسي، 2012، ص 198). ويمكن ملامسة مظاهر المدينة التقليدية من خلال الإشارة إلى العمارة العراقية التقليدية إذ أشارت دراسة "جحو" إلى سمات وخصائص العمارة العراقية التقليدية التي تتمثل بالاتي: (جحو، 1989، ص 169-171)

- 1- استخدام الفناءات الداخلية (الحيز المطوق) .
- 2- على مبدأ التوجه نحو الداخل.
- 3- بساطة المظهر الخارجي مقارنة بشاء الداخل، فالمظهر الخارجي لا يعكس ما موجود داخل العمارة.
- 4- تركيب الأنماط الهندسية على العناصر الإنشائية.
- 5- التجريد الهندسي .
- 6- استخدام الخط العربي للتزيين والتعبير.

ومن خلال هذه الخصائص يمكن ان تتجلى حقيقة امتلاك العمارة العراقية التقليدية لنظامها وقواعدها الخاصة مما منحها هوية ذات خصوصية أملاها عليها الثراء الفكري والظروف الاجتماعية والمناخية بشكل عام على المستوى التخطيطي والتصميمي للمدينة العراقية الممثلة بالعمارة التقليدية التي تشكل البنية الأساسية للمدينة بمعناها الشامل، وهذا ما زادها قبولاً جمالياً (فالحكم الدوتي للمباني التي لم تأخذ الجانب الاجتماعي والرمزي بنظر الاعتبار، وطفى عليها الجانب التقني وقت بانها شوهدت الوجه الجمالي للعمارة). (احمد، 1995، ص 15)

بعد التغييرات والتحرر التي حصلت في القرن الماضي، حصلت عدة تغييرات في المدن على المستويات العمرانية



أو الشعور بالانتماء الحقيقي للمكان ، وهذا التحول يراعي عادة التجانس الاجتماعي ، كنعوية ومستوى المدارس ، وطبيعة الاحتياجات المرتبطة بالمستويات المادية المختلفة وألية النقل وطبيعة فرص العمل وما إلى ذلك .

لذا تأثرت المدن التقليدية بتحولات القائمة على التطوير المتعدد الاستعمالات المبني على التداخل ما بين المنظومات السكنية والتجارية والإدارية والترفيهية ، وتغول المدن التقليدية على المناطق المفتوحة (الشوارع والحدائق والتقاطعات) لتحقيق تلك المتطلبات تعويضاً عن المساحات الصغيرة التي تمتاز بها المباني السكنية أو خصائص تنظيم هذا الفضاء .

وهذا التحول يتوافق تماما مع النمط الأول ، اذا يشمل التحول الهيكل الحضري وبنائه التحتية) ولان التحول الذي تنشده هذه الدراسة يرتبط بنموذج محدد هو المدن التقليدية ، وفضاءات هذه المدن تختلف عن فضاءات المدن الاخرى وبالتالي ستكون الية التحول مغايرة لذا فمن الضروري العودة إلى وصف (gosling) الذي حدد ثلاثة مصادر أساسية تمثل النماذج الأولى لخلق مفاهيم تصميم وتنظيم بنية الفضاء في البيئة الحضرية :

أولاً : النموذج الطبيعي (natural model) : ويمثل المدن العضوية التي تتميز باحتوائها على مجموعة عناصر تكوينه تسهم في إنتاج تأثيرات معينة في المجتمع وتكرر في هذه المدن مهما اختلفت (طوبوغرافيتها) (طوبوغرافيا : تمثل سطح الأرض بعناصره الطبيعية والبشرية ، يتألف المصطلح اليوناني من مقطعين Topo تعني الأرض او المكان ، Graphite تعني الرسم او التمثيل البياني) (Hillier ، 1989 ، ص10).

ثانياً : النموذج المثالي (الطوبائي) : الموجود في النظريات فقط بسبب انفصالها عن المجتمع ، فالمدينة المثالية لا توجد إلا على المستوى النظري وان وجدت فلم تستمر كتشكيل مثالي لحل متكامل لمشكلة ، ظهرت فكرة المدينة الفاضلة عند الفارابي وقبله كجمهورية أفلاطون أو المدينة المثالية (Hillier ، 1989 ، ص25).

ثالثاً : النموذج المشتق من العلوم والفنون : ظهرت هذه النماذج في العصر الحديث ، حيث اهتم المصممون ببعض الحلول الفنية والعلمية خارج نطاق التصميم الحضري في محاولة لإيجاد الحلول للمشاكل الحضرية المتزايدة والمعقدة (Hillier ، 1989 ، ص40)

وإذا ما كان النموذج الأول الأقرب للمدن التقليدية موضوعة البحث ، ومع التحولات الحاصلة التي تستجيب للحاجات الوظيفية والبيئية ويتطلبها التغيير الزمني سينكشف معها نمط اخر لعالم واقعي تماما يحقق فكرة المدينة التقليدية المتعارف عليها ، فالنمط الثاني يذهب ابعده من ذلك بكثير

## 2.2 . التحول الحضري

أن التحولات الحضرية المتسارعة أثرت على طبيعية ونوعية الحياة في المدينة ، فعلى مستوى الفرد تدهور نفسيته وتراجع كفاءته نتيجة الازدحام الدائم دخل الوسط الحضري فيؤدي الى تعب وقلق وإرهاق دائم ، وكذلك الشعور بالاختناق بسبب انتشار الاكتظاظ العمراني وقلّة الفضاءات المفتوحة ضمن نطاق المدينة ، على المستوى العمراني فان التحولات العالمية أثرت على النسيج الحضري للمدينة فدخل مفردات معمارية مفتربة بعيدة عن النسق الثقافي والأسلوب الفكري للنسيج المحلي أدى الى زيادة الشعور بالاغتراب والانتماء (النكلاوي والتابعي ، 2003 ، ص149) .

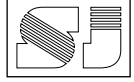
## 3.2 . الاستجابة للتحولات العمرانية

بناء على ما سبق ذكره من ان كل التحولات الحاصلة في المدن سواء التقليدية أو غير التقليدية تكون على مستويين ، المستوى الحضري ومستوى المبنى الواحد المنفرد ، يمكن الإشارة إلى مجموعة من طروحات المعمارين الحضريين أمثال Alan Colquhoun الذي وضع مستويات التحول الحضري للمدن

- تحولات على مستوى الفضاء : وهذه التحولات التي تحدث على المدينة بمقاييس كبيرة اي إدخال تراكيب كاملة على النسيج الأصلي للمدينة وتكون الإدخالات بشكل بلوكات مركزية .
- تحولات على مستوى الحركة : وتحدث هذه التحولات على المدينة بمقاييس صغيرة وعلى مستوى الأجزاء عندما يتم ادخال بلوكات خطية تشكل مسالك حركة من احد أجزاء المدينة إلى الجزء الأخر . (Alan Colquhoun ، 1975 ، ص366)

ودراسة استجابة تحولات المدن التقليدية هنا ستخذ نمطين أساسيين ، الأول هو الذي يجمع بين الهيكل الحضري المتمثل في التجمعات السكنية والجوانب البيئية والطبيعية والفيزيائية وأيضاً البنى التحتية للمدينة ، اما النمط الثاني فيتمثل بدراسة تحولات المبنى الواحد أو الوحدة الأصغر وبيئتها الداخلية ، وبالتالي فدراسة التحولات في اي من النمطين ، انما ينعكس على النمط الأخر بالتبعية .

ومن التحولات المهمة التي شهدتها المدن التقليدية ، هو ما يسمى (بالتطوير متعدد الاستخدام) والذي يعمل على التداخل بين الفضاءات والوحدات السكنية والتجارية والترفيهية والإدارية لتلبي بذلك حاجات الناس اليومية والمتداخلة مما يمنحهم فرصة لاختيار السكن في مثل هذه المدن المستجيبة للمتطلبات البيئية ، فضلاً عما يوفره هذا التطور من ترسيخ واضح للقيم المجتمعية كعلاقات الجيرة والتواصل الاجتماعي



الحضرية التقليدية، تتوسع وتعيد التنظيم وتستبدل وفقاً لرؤية داخلية تلبي احتياجاتها من الداخل أي تعتمد على المدخلات الجزئية الصغيرة التي لا تدمر سماتها العامة. وهذه التحولات تمثل التحولات الحافظة للنظام لـ (Weinberg) الذي حدد نوعين من التحولات هما (Weinberg, 1998, ص 240-243):

التحولات الحافظة للنظام: وهي التحولات التي تؤدي إلى ثبات النوع لمجموعة معينة من الظواهر.

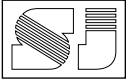
التحولات المدمرة للنظام: وهي التحولات التي تؤدي إلى نشوء أنواع جديدة من الظواهر. وخير مثال على إدخال مقاييس صغيرة على مستوى الجزء مع الحفاظ على النظام العام هي بنائية دائرة الاتصالات في شارع الرشيد، إذ جاء تصميم هذا الجزء المعماري متوافق إلى حد ما مع الطراز العام لشارع المدينة التقليدية، وحافظ على النظام العام للشارع ولم يمثل هذا الجزء فرقا في السياق العام للبنية التقليدية للمدينة، لذلك لم يشكل التشتت والتاين والتجربة ملمحا من ملامح المدن التقليدية حتى مع التأثير بالنظم الحضرية والاستجابة لبعض تحولاتها، إذ تأخذ الارتباطات الجديدة في المدن التقليدية منحى تاريخي أو تراثي يسبق على مستوى الواجهات أو تحولات بمقاييس صغيرة تكون فردية على الأغلب خصوصا في الأحياء السكنية والأسواق الشعبية العامة كما في عملية تحديد واجهات (سوق الصفاير في بغداد).

وبناء على ما تقدم يمكن التوقف عند مفهوم المحاكاة بوصفه الصيغة الحضرية المغلقة، ومن المؤكد أن المحاكاة في فن العمارة لا تحاكي المنجز المعماري المحاكي باليه بسيطة كما تفعل اله التصوير الفوتوغرافي للأشياء وتنسخ صورة عنها، بل هي تحاكي بطريقة أكثر اتساعا، فالمعماري يغير ويعدل ويعمل على تحريف التفاصيل كونه يستهدف علمية إبداعية لذا فما يضيفه المعماري للمدينة التقليدية هو عنصر جديد يشبه النموذج الأصلي ويتساق مع بقية أجزاء المدينة لكنه يحمل معنى أكثر اتساعا وإن تشابه معه بكثير من التفاصيل الشكلية (فالمحاكاة تعني إعادة تركيب وبناء لجوهر الشكل من المصدر الأصلي لا نتاج أعمال أصيلة مبدعة بمثابة صور تعكس ذلك الأصل وصورته، فأسحة المجال للإبداع والابتكار والتواصل والكشف عن الحقائق) (Lucein Steil, 1989, ص 8) وهذا الفهم العام للمحاكاة في نموذج المدن التقليدية لا يتعارض مع تقسيم (جيروم ستولنير)<sup>(1)</sup> المحاكاة إلى (محاكاة بسيطة، محاكاة جوهر، محاكاة مثل عليا)، لأن المعطي الشكلي يبقى أكثر محدودية أي أنه أكثر ملامسة للنموذج في كل الأنواع الثلاثة للمحاكاة ولا يشكل انحرافا واضحا في معطياته، ومع ذلك يمكن استخلاص عدد من الجوانب التي

باحثا عن النموذج الراقي والخالص والمنزه عن العيوب، أي مدينة كل ما فيها مثالي إلى حد لا يمكن معها تصديق وجود هكذا مدينة على أرض الواقع، وهي مدن يستهويها الاسترسال مع التجريد والاندفاع خارج حدود المألوف كالعامة التفكيكية. وبين فضاءات النموذج الأول وفضاءات النموذج الأخير، حددت الدراسات نوعين مهمين من بيئة التنظيم وهما (Rapport, 1979, ص 236): أولا: بنية البيئة التقليدية، ثانيا: بنية البيئة الحضرية المعاصرة، وبقدر تعلق الأمر بموضوعه البحث فإن بنية الفضاء في البيئة التقليدية تتساق مع نمط الحياة اليومية لسكانها، توجهاتهم وأغراضهم، أي اعتماد الفضاءات المفتوحة بدلا عن التنظيم الفضائي الموضوعي الذي يعمد إلى تصميمه وخلقه أو التأسيس له وتشيدته ضمن هيكلية المعماري، أما البنية الحضرية المعاصرة فتتضمنها وبنيتها الفضائية مفتوحة، غير إنها أقل حيوية وترابطا كونها لا تبدو أكثر من خلفية للكتل الحضرية التي تحيط بها، وهي ذات رتابة حتى تبدو وكأنها استكمال للكتل المشيدة كما في فضاءات مجمع (28 نيسان في الصالحية) فهي تتسم بتساؤل الحركة فيها كونها تقتقد إلى الحيوية الاجتماعية، إن ما هو مهم فعلا أن يؤخذ بنظر الاعتبار معرفة أن العناصر التي تزرع في المدينة هي تراكيب قد تضخم الانقطاع في العلاقة بين القديم والجديد، النسيج ككل والهيكل الجديد كجزء، بين الشكل والخلفية، بين البنية والمعنى وغيرها من العلاقات (Alan Colquhoun, 1975, ص 366). ولأن أي التحول في المنظومة الحضرية إنما تمثل استجابة معمارية مرتبطة بحركة الزمن، فعملية التطور والتحولات تتطلب مدة زمنية، لكي تحقق سلسلة عمليات تحول صفري متتالية متدرجة، ومع مرور الزمن يحدث التحول الكبير، وتحولات المدن التقليدية تتساق مع دراسة "Kuhn 1970" التي تطرح التحولات على مستوى النموذج (paradigm) إذ يؤكد (Kuhn 1970) على أن التحول من النموذج القديم إلى النموذج الجديد تحدث من خلال عملية التغيير التدريجية غير الكاملة، بالإضافة إلى جانب مهم وهي العلاقة بين النموذج القديم. إذ يرى كان (Kuhn 1970) أن النموذج الجديد لابد أن يكون مختلفا ببعض ما زال نابعا من معطيات النموذج القديم لكن بموضعه في إطار أكثر تحديد (Kuhn, 1970, ص 224)، وكما يشير إلى أن تغيير النموذج القديم يكون أما بشكل (جزئيا) يتضمن تكييف أو تعديل افتراضاته الخاصة بما يتلاءم مع الحقائق المستجدة، أو أن التغيير يكون علو مستوى (الكل) وبذلك بتغيير كل أساسيات النموذج الأصلي. (أي أن النموذج تقليدي معماري أو غير معماري) (مصدر سابق، ص 225).

والتساق مع الراي الأول يأتي من كون المدينة التقليدية ترى العالم في ضوء الماضي والتقليد فهي من ناحية أخرى مرتبطة بالنظم الحضرية التي لا تتكيف مع معطيات الحاضر بكل تقديراته، وما ينتج عنه من تحولات سريعة إلا بعد اختبارها لتتحم المستقبل بموثوقية واطمئنان، فهي من أشكال النظم

<sup>1</sup> قسم (جيروم ستولنير) في كتابه (النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية) المحاكاة إلى محاكاة بسيطة، ومحاكاة الجوهر، ومحاكاة المثل العليا.



تقنيات بنائية جديدة ، أدى هذا الاختراق الى تغيير البنية الحضرية في المدينة. سيتم تحليل المدينة لدراسة نوع مستوى التحولات التي أثرت فيها ، ومدى استجابة المدينة لهذه التحولات .

ولتحليل العناصر العمرانية وبعد دراسة مستوى التحولات للمدن سيتم تقسيم عناصر المدينة الى عناصر المعمارية المستوى الحضري وعناصر المعمارية للمبنى المنفرد ودراسة نوع التحول والاستجابة له .

#### 4 . النتائج

بعد اختبار المفردات في استمارة القياس تبينت النتائج كما يلي :

1 - التحولات على المستوى الحضري

كانت الأزقة في المدينة التقليدية متعرجة وضيقة واحيانا مغلقة النهايات لتوفير الأمان لساكين لتقليل دخول الغرباء ، بعد التحول أصبحت بشكل شوارع عريضة لتسهيل دخول السيارات ، فتحول النظام التخطيطي من العضوي إلى شبكي ، دمر هذا التحول النظام الحضري للمدينة وتجاهل الناحية الاجتماعية. فلاحظ ان التحولات المدمرة لنظام الحضري هي 95% ، والتحولات على مستوى اكل هي 90% . يبين مخطط رقم (1) نوع ومستوى التحولات على المستوى الحضري .

2 - التحولات على مستوى المبنى الواحد

- ان للمدن التقليدية التفاصيل المعمارية مميزة نابعة من احتياجات المجتمع الساكن فيها ، حدثت تحولات لهذه التفاصيل بسبب تغييرات ثقافية واجتماعية وغيرها أفقدتها روحيتها و جوهرها ، فالواجهات في المدينة التقليدية كانت تمتاز بالبساطة والتشابه ولا تعكس الحالة الاقتصادية لصاحب المبنى ، بعد التحول أدخلت تفاصيل معمارية جديدة للواجهات ، واستخدام مواد بناء وتقنيات غير محلية بهدف التميز مواكبة التطور التقني .
- ان الفناء الوسطي مع البادكير والسرداب يكون النظام البيئي للمبنى التقليدي ، حيث يعمل كل عنصر بصورة مكملة للأخرين فسقوط أشعة الشمس على بعض جدران الفناء الوسطي خلال النهار يعمل على اختلاف الضغط وتوفير تيارات هوائية لداخل المبنى ، واختلاف درجة الحرارة بين الداخل والخارج يؤدي إلى دخول الهواء البارد إلى الداخل وخروج الحار من خلال البادكير .
- بعد التحولات والتغييرات التي حدثت على المدينة التقليدية أدت إلى الفناء بعض هذه العناصر البيئية أو كلها نتيجة عدم قدرتها على مواكبة التحديات الجديدة ،

ترتبط بالمفهوم العام للمحاكاة في المدن التقليدية (حسن ، 2009 ، ص311)

- 1 - عملية خلق فني مبدعة .
- 2 - إعادة تركيب وصيانة للمصدر الأصلي .
- 3 - التعامل مع المظهر والجوهر .
- 4 - علاقة تجاوز بين الأصل والصورة .
- 5 - التشابه مع النموذج الأصلي الذي يحاكيه وليس التطابق .
- 6 - المرونة العالية .

وعلى فئات المدن التقليدية بتحويلات البنى الحضرية المغلقة لا يستند إلى الانحراف عن التحديدات الاصلية للمنظومة الحضرية ، اي انها لا تعول كثيرا على عملية الترميز والدلالات العميقة ، فالتحولات والتغييرات التي جرت على بنى المدن عكست حركة التاريخ والتراث ومتغيراتها الحضارية دون ان تعول على مديات دلالية عميقة وان لامست المستوى الدلالي الدارج اذا ان كل موجودات الواقع حاملة لدلائلها الخاصة .

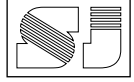
#### 3 . تحليل عناصر التحول للمدينة التقليدية : (مدينة الكاظمية أنموذجا)

تعد مدينة الكاظمية من المدن التاريخية المهمة ، فضلا عن كونها تتسم بجوهر سمات المدينة التقليدية ، وقد أسهمت المتغيرات الجغرافية والسياسية والدينية والاقتصادية في تطويرها ، وهي ومن مدن العراق المقدسة ، تضم تربتها الزكية رفات الإمامين اللذين نسبت إليهما مدينة الكاظمية وهما الإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام محمد الجواد عليهما السلام وهي من المراكز الكبيرة التي يقصدها الزوار (Ansari ، 1981 ، ص278).

تقع المدينة شمال العاصمة بغداد وعلى بعد 5 كم في الجانب الغربي منها ، وعلى الضفة اليمنى لنهر دجلة بجانب الكرخ . يحدها من جهة الشرق نهر دجلة ، ومن الغرب أراضي الفرايبية ، ومن الشمال أراضي التاجي ، ومن الجنوب أراضي العكيدات ، وترتبط بجانب الأعظمية بجسر حديث يعرف " بجسر الأئمة " ، وترتبط من جهة الشالجية بجسر الصرافية بجانب الرصافة .

تعد مدينة الكاظمية نموذجا للمدن التقليدية حيث تمتاز بطابعها المحلي ، فتتكون من أزقة متعرجة ضيقة ذات نهايات مغلقة في معظم الأحيان على جانبيها قطاعات سكنية بارتفاع 7 متر تقريبا طابقيين وستارة ، نظفي على واجهاتها الشناشيل والبساطة في المعالجات المعمارية ، وتعطي خصوصية لساكين بالتوجه نحو الداخل ، توجد داخل هذه المباني معالجات معمارية مناخية مثل الفناء الوسطي والبادكيرات ، كما تكون الفتحات على الواجهات محدودة لتوفير العزل المناخي والبصري بين الداخل والخارج .

حدثت تغييرات على المدينة بسبب متطلبات الحياة الجديدة فتم شق شوارع عريضة لتسهيل دخول السيارات ، ودخول



والاقتصادية لا يمثل الحل الأمثل للإبقاء على ما هو متوارث، بل ان مواجهة المدينة لكل ما هو جديد يجب ان تتم عبر المرونة والفهم التام للمدينة بوصفها سجلا يحفظ مسيرة الأُنسان وإنجازاته .

5- ان التحولات في النظام الحضري كانت اغلبها تحولات مدمرة للنظام لان عملية التطوير في المشهد الحضري شملت إزالة العناصر المعمارية التقليدية فهي تحولات على مستوى الكل، بإضافة المباني المتعددة الطوابق احدث خلل في عملية تلقي المشهد الحضري نتيجة الفوضى الحضرية بالارتفاعات والعناصر الهجينة ومواد البناء الجديدة والتقنيات غير المدروسة في البناء .

6- ان من الخطأ ان يكون الطريق للمحافظة على المدينة التقليدية، هو الانطواء والانغلاق لان ذلك يؤدي إلى جمود التقاليد المعمارية وإضعافها وحرمان المدن التقليدية من فرص التطور والتجديد، مع الأخذ بالحسبان ان تخضع التوجهات المعمارية الوافدة والحديثة لدراسة واسعة ومعقدة ومن ثم الأخذ منها ما لا يتعارض مع القيم التقليدية السائدة، لان المدن التقليدية لا توجد منعزلة بل هي مرتبطة وقابلة للتحويل والتجاوب مع متطلبات الزمن المعاصر، لذلك فلا بد من وجود صلة وعلاقات مستمرة مع المدن الجديدة، فهذا الاحتكاك بين التقليد والحديث يترتب عليه استعارات وعلاقات متبادلة تشكل مصدر ثراء لكل منهما وتبعدهما عن الجمود، مادام هذا الاحتكاك لا يصل ولا يؤدي إلى تشوية قيم العمارة التقليدية، بل يسهم في توسيع أفاقها، فالاحتكاك والاتصال والتواصل يفتح مجالات جديدة للإبداع .

7- ان التواصل بين المدينة التقليدية وما يحيطها من مدن حديثة لا يشكل خطرا عليها الا اذا ازدادت العناصر المستعارة من العمارة الحديثة إلى الحد الذي يصعب تطويعها في المدن التي تتسم بالبساطة لان المدخلات الكثيرة أو تعدد العناصر وكثرتها بدون وعي تام ستؤدي إلى تغيير هويتها التقليدية .

#### 5 .التوصيات

1- يوصي البحث باتباع واعتماد التوجهات العالمية الحديثة غير التقليدية في مواجهة التحولات التي تطرا على المدن التقليدية والاستفادة من هذه التحولات لمواكبة كل ما هو جديد .

2- يوصي البحث بإعادة النظر بالتوجهات والقوانين التي تدعو للمحافظة على المدينة التقليدية بأساليب وسياسات لا تتلاءم مع الواقع الحالي لتلك المدن

وان اي تغيير أو تحول في احدى العناصر البيئية يؤدي إلى تدمير النظام البيئي للمبنى .

• فلاحظ من خلال مخطط رقم (2) ان نسبة التحولات المدمرة لنظام هي 77% ، والتحولات على مستوى الكل هي 15% ، اما بالنسبة للتحولات على مستوى الحركة فهي 65% . يبين مخطط رقم (2) نوع ومستوى التحولات على المستوى المبني الواحد(المنفرد).

• أظهرت نتائج التحليل اختلاف النسبة بين أنواع التحول ومدى الاستجابة لتغييرات العمرانية لنتائج المعماري، والشكل (3) يوضح نسب المقارنة بين الأنواع المختلفة للتحول في المدينة التقليدية بشكل عام :

#### 1.4 .الاستنتاجات

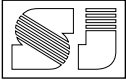
من خلال تحليل تحولات العناصر للمدينة التقليدية ومستوياتها توصل البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي :

1- الاستجابة الحضرية للتحولات العمرانية والمعمارية في المدن التقليدية شبة معدومة، لان معظم التحولات هي تحولات هجينة غير واعية لخصائص البيئات التقليدية وآليات عملها، كما يبين الجدول (2-2) الاستجابة الحضرية لمستويات المدينة التقليدية.

2- التحول في البيئة التقليدية يشمل مجموعة من التدخلات بعضها تكون مدمرة لنظام الحضري والبعض الآخر حافظة للنظام، فهناك تحولات تكون على مستوى الجزء أي أجزاء بعد التغييرات والبسيطة على العناصر لفرض مؤامتها مع التطورات الحاصلة في العالم او لجعلها قادرة مواكبة المتطلبات الجديدة او التغييرات المناخية الحاصلة وهي عمليات المحاكاة والتكرار والتقمص فهي حافظة لنظام، اما عمليات الحذف والإزالة والإضافة لوحدات كاملة ولعناصر جوهرية فهي تحولات تدمر النظام الحضري الملق للمدينة التقليدية بالاستناد الى الية عملها.

3- حدد البحث عمليات التحول المدمرة بالتحولات على مستوى الكل والتحولات على مستوى الفضاء التي تؤثر سلبا، اما الحافظة للنظام فتشمل التحولات على مستوى الجزء والتحولات على مستوى الحركة إيجابا على الاستجابة الحضرية لتلك التحولات. كما يبين بالشكل (1-1)

4- ان التمسك الصارم بالتقاليد ومحاولة عزل المدينة التقليدية عن الزخم الكبير الذي خلقه التجدد التكنولوجي والتنامي مع حدوث التغييرات السياسية والاجتماعية



- 18 - مشاري عبد الله النعيم ، الهوية في وسط متحول : تجربة التغيير في البيئة السكنية السعودية ، ندوة الإبداع والتميز في النهضة العمرانية بالمملكة خلال مائة عام ، 2004 .
- 19 - النكلاوي ، احمد/ الثابتي ، كمال ، مشكلات المجتمع المصري ، دار النصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003 ، القاهرة .

- 3 - يوصي البحث بتوعية المطورين والمخططين بكيفية الاستفادة من التحولات التي تحدث بالمدن التقليدية والاستجابة لها ، بدلا من وضع طرق وأساليب لصد من هذه التحولات .

## المصادر

### Urban Response For Architectural Transformations In The Traditional City

Dr. Saad Aljumaily<sup>1</sup> - Assist. Prof.  
Rafal Alauldeen Abdul-Majeed<sup>2</sup> - MSc

<sup>1,2</sup>. Architecture Department - AL-Nahrain University  
rafal.alaa92@yahoo.com, aljumaily.saad@gmail.com

#### Abstract

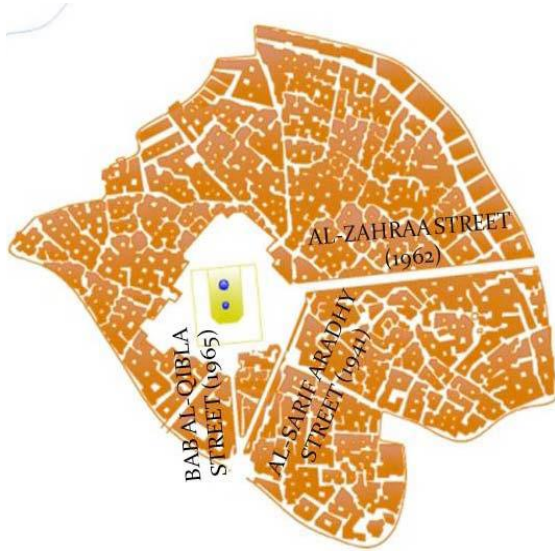
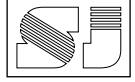
Cities as a design didn't appear in existent directly but it a result from growth, changing and Permanent response to human requirements over decades and also each generation takes what others produce and rearrange and replace Thus, the city is a developing structure that responds to human needs Through which a system that includes relationships and essential joints, Each city in the world stand on urban structure and Infra-structure, The research studies the transformations which happed to the traditional cities come from technology, political, and economic challenges .These challenges try to inventory the city from its architectural characteristics, in the other hand some of these challenges became the motivation to develop the cites and response with technological development, So the problem of the research is : (the architectural transformations which is the result of high development for the traditional cities missed the urban and environmental forms that were present in the traditional cities.

The research aims to identify the reconciliation the changeable architectural formations and attempting at benefit form urban influences of the traditional cities

The research finding that the process of continuation and dealing with the modern idea is essential issue, because the holding on the ancient without realization that leads to lose all structural characteristics for the city, and became just a skeleton without any functional and aesthetic spiritual.

**Keywords:** Urban response, Architectural transformations, Infrastructure.

- 1- Ansari , J. H. Shaheer M., a strategy for planning on arab town in the arab city,Saudi Arabia, 1981.
- 2- Antoniades, Anthony ,C" ;.Poetics of Architecture"; Van Nostrand Reinhold; New York 1990.
- 3- Bill Hillier, The Architecture of the urban object, Ekistics, 1989.
- 4- Colquhoun ,Alan ; "Rational Architecture", Architectural design, 45,no.6 (1975)
- 5- Kuhn,Thomas S.; The structure of scientific revolution; the university of Chicago press ;1970.
- 6- Lucien Steil, On imitation, A.D.VOL58, NO.9/10, London, 1989.
- 7- Rapport, Amos, House,form,and culture, Printice-Halk England, 1979
- 8- Wienberg, Gerald M".(Parce DeLa Villette,Parce)". Architectural Design, Deconstruction In Architecture, Academy Edition, London 1988.
- 9 - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، لسان العرب ، ج ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1978 .
- 10 - احمد ، محمد شهاب ، العمارة : قواعد وأساليب تقويم المبنى ، الأردن ، دار مجدلأوي للنشر ، 1995 .
- 11 - جحو ، اسعد يعقوب ، ندوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة ، بغداد ، 14 -16 تشرين الأول ، 1989 .
- 12 - حسن ، ندى عبد المعين ، استراتيجية محاكاة الكل للطبيعة في المدن العربية التقليدية ، المجلة العراقية للهندسة ، العدد 16 ، سنة 2009 .
- 13 - الخفاجي ، صبا جبار نعمة ، القيسي ، سحر باسل محمود ، سمات الهيئة الحضرية التقليدية للمدينة العربية ما بين الشكل والقيم المعنوية ، 2012 .
- 14 - غليون ، برهان ، التغيير المكاني والاجتماعي ، ترجمة محمد عمي مقلد ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد 39 ، حزيران 1986 .
- 15 - القيسي ، سحر باسل محمود ، الحفاظ العمراني كآلية تواصل ما بين الشكل والقيم العمرانية ، أطروحة دكتوراه قسم الهندسة المعمارية - كلية الهندسة - جامعة بغداد ، بغداد ، 2011
- 16 - محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح /دار الرسالة للطبع والنشر ، الكويت ، 1982 ، ص163 .
- 17 - المدحجي ، محمد احمد سلام ، التحولات المعمارية والعمرانية لمدينة تعز ومدى تجاوبها البيئي ، اليمن ، 2005 .



النسيج التقليدي لمدينة الكاظمية بعد التحولات.



النسيج التقليدي لمدينة الكاظمية قبل التحولات.

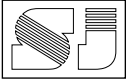
الشكل 1-1 : النسيج التقليدي (المصدر : القيسي ، 2011 ، ص171).



الشكل 1-3 : شق طرق جديدة في المدينة بعد عمليات التحول (المصدر : الباحث).



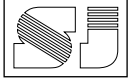
الشكل 1-2 : الازقة والطرق في المدينة القديمة (المصدر : الباحث).



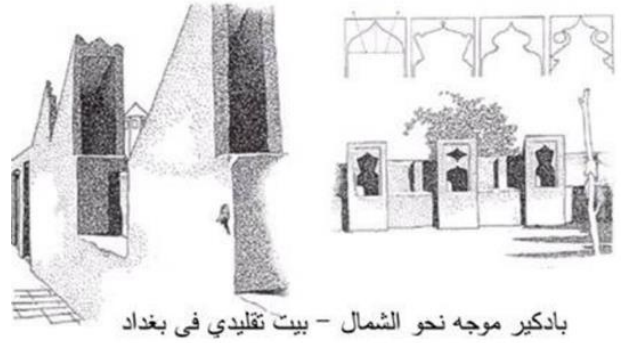
**الشكل 1-4 :** واجهات المباني في المدينة التقليدية قبل وبعد التحولات (المصدر: الباحث).



**الشكل 1-5 و 1-6 :** مواد وتقنيات البناء المستخدمة في المدينة التقليدية قبل وبعد التحولات (المصدر: الباحث).



**الشكل 1-7:** اختلاف الارتفاعات المستخدمة في المدينة التقليدية قبل وبعد التحولات (المصدر: الباحث).

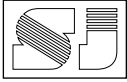


بادكير موجه نحو الشمال - بيت تقليدي في بغداد

**الشكل 1-8:** المعالجات البيئية والمناخية قبل وبعد التحولات (المصدر: www.google.com).



**الشكل 1-9:** للتحولات لنظام الحضري المغلق ، (المصدر: الباحث)

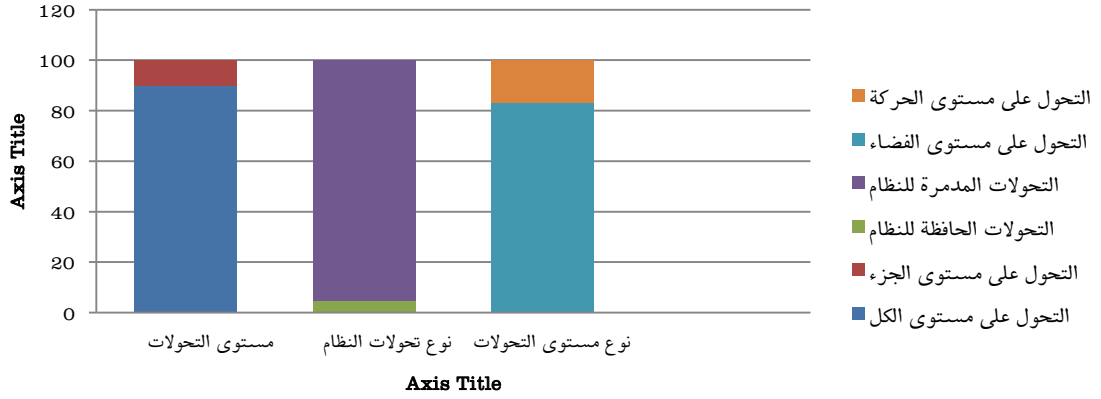
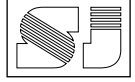


**الجدول 1 :** يوضح نوع ومستوى التحولات على المستوى الحضري ومستوى المبنى الواحد ، (المصدر: الباحث).

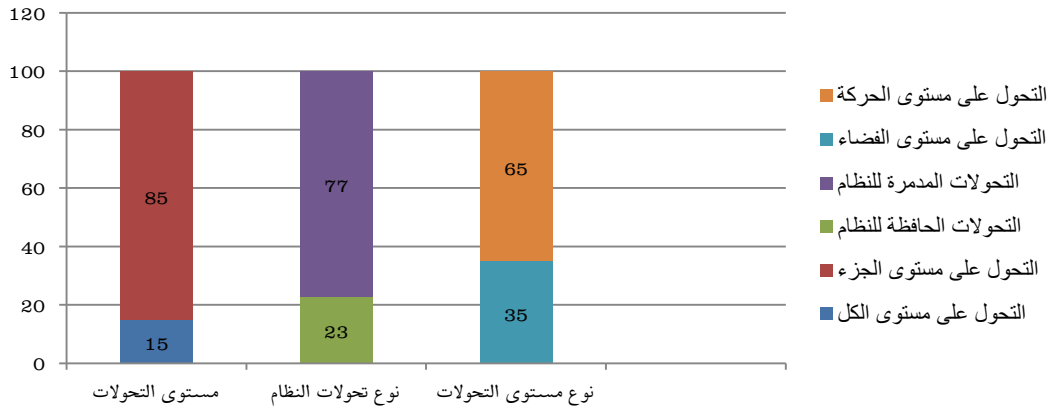
نوع النظام	نوع التحول		مستوى التحول		
	التحويلات المدمرة للنظام	التحويلات الحافظة للنظام	التحول على مستوى الكل	التحويلات على مستوى الفضاء	التحويلات على مستوى الحركة
المستوى الحضري	1	0	1	0	1
	0	1	0	1	0
	1	0	1	0	1
	1	0	1	0	1
	1	0	1	0	1
	0	1	1	0	0
مستوى المبنى الواحد	1	0	1	0	0
	0	1	0	1	1
	0	1	0	1	1
	1	0	1	0	0
	1	0	0	1	1
	1	0	0	1	1

**الجدول 2 :** الاستجابة الحضرية لمستويات المدينة التقليدية .

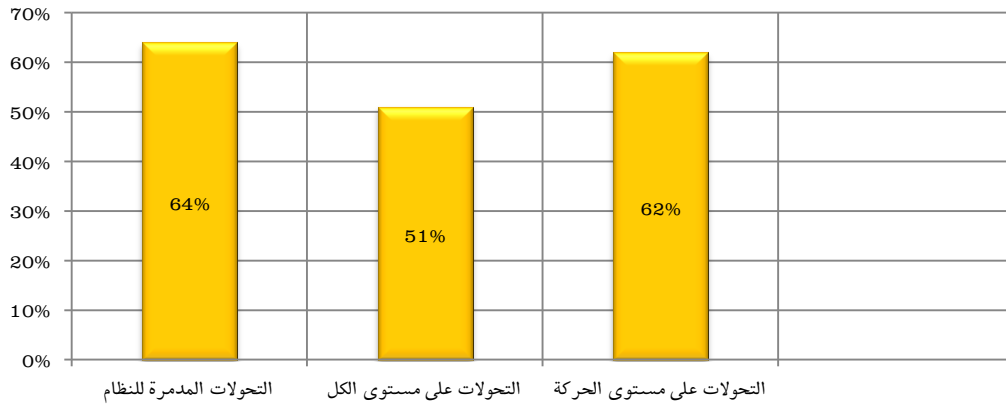
ت	المفردة الرئيسية للاستجابة	المفردة الثانوية للاستجابة	استجابة حضرية
			لا نعم
1	الاستجابة على المستوى التخطيطي	عضوي متضام	● ●
2	الاستجابة على المستوى البيئي	البادكيرات الفناء الوسطي السرداب	● ● ●
3	الاستجابة على المستوى الطبيعي	حافات الطبيعية	●
4	الاستجابة على المستوى الاقتصادي	اقتصاد داخلي موحد	●
5	الاستجابة على المستوى الاجتماعي	علاقات الجيرة	●
6	الاستجابة على المستوى الثقافي	وحدة ثقافية	●
7	الاستجابة على المستوى الاستخدام	متعدد الاستخدام	●
8	الاستجابة على المستوى الهيكل الحضري	حافات القطاع المقياس	● ●
9	الاستجابة على المستوى المبنى المنفرد	عناصر التكوين للواجهات المخطط	● ●
10	الاستجابة على المستوى الخصائص والتفاصيل	المواد معالجات معمارية	● ●
11	الاستجابة على المستوى تجميع المباني	التجاور الانسجام	● ●
12	الاستجابة على المستوى التقني	مواد حديثة تقنيات حديثة	● ●



**المخطط 1:** يبين أنواع ومستويات التحول على المستوى الحضري (المصدر: الباحث).



**المخطط 2:** يبين نوع ومستوى التحولات لمستوى المبنى المنفرد، (المصدر: الباحث).



**المخطط 3:** النسبة المئوية لتحويلات النظم الحضرية للبيئات التقليدية، (المصدر: الباحث).